- _كلية الآداب و اللغات
- _قسم اللغة و ادب العربي
- _أستاذ المادة: د/نجعوم يوسف
- _المحاضرة السابعة والثامنة : أولى ماستر /أدب قديم 2020/2019

- محور:علم الجمال بين اللذة و الألم

- **الاهداف:**

_- أن يتعمق في فهم اللذة و الألم
_- أن يستوعب اثر اللذة و الألم في سلوكيات الانسان
_- ان يعرف طريقة الاستفادة من اللذة و الألم
_- أن يعرف طريقة التحكم في اللذة

- **تمهيد**

غالبا ما تتوتر علاقتنا كأفراد أو كمجتمعات أو كشعوب ؛ لا لسبب إلا لكوننا غافلين عن مبدأ مهم في حياتنا قد تغاضينا عليه لسبب أو آخر ؛ وهو مبدأ: (اللذة والألم) الذي يعتبره الكثير من الفلاسفة محرك نشاطاتنا السلوكية ومغذي لعقولنا الفكرية. وتوضيحا للفكرة و تبسيطا للموضوع سأعتمد على الطريقة الحوارية سؤال /جواب....

س: _ما حقيقة هذا المبدأ الخطير و المهم_في رأي الفلاسفة _الذي يعكر علاقاتنا و يؤثر في سلوكياتنا ؟

ج :_ من طبيعة الإنسان حرصه الدائم و بحثه المستمر عن اللذة والمتعة التي توصله إلى السعادة أو لنقل - في الوقت نفسه – نفوره الدائم عن كل ما قد يؤدي به إلى الألم والأذى والمعاناة. وبين هذا الحرص والنفور في السلوك الانساني ، يقابله علاقة بينهما وثيقة هي علاقة مبدأ اللذة و الألم أو لنقل علاقة النتيجة(اللذة) بالسبب(الألم).

س_: هل اللذة و الألم هي من حقائق الطبيعة الانسانية أم يمكن إلغائهما و تجاوزهما؟

ج :_ طلب اللذة وتجنب الألم هما من أهم حقائق الطبيعة الإنسانية ؛ وعليه يجب أن نحترم هذه الطبيعة والتعامل معها ليس بإلغائها ؛ بل بضبطها وتربيتها مثل أي طاقة في الكون ؛ لأن الإنسان لا ينتج ولا يبدع بالإكراه والقسر ، فهو كائن يحب ويكره ولا يمكن استثماره إلا بمعرفة مفاتيح النفس البشرية ومبدأ اللذة والألم الذي هو مفتاح المفاتيح.

س:_ لماذا وجد الألم؟ هل يمكن إلغاؤه؟

ج :_ الألم امتحان لفضائل النفس الإنسانية وصقل لمواهبها ولولا الألم لما استمتع الإنسان باللذة وقلّ أن تخلو لذة من ألم، أو ألم من لذة. ولولا اللذة والألم لما أمكن إقامة الثواب والعقاب الاجتماعي، فالأخلاق والقوانين الاجتماعية تعتمد في تطبيقها كثيرا على الثواب والعقاب. ولا تتم ولادة بدون ألم ودماء. ولا أطهر من النار لتنقية المعدن من الشوائب.

س: _ هل اللذة و الألم واحدة أم متعددة؟

ج:_ يرى الفلاسفة أن اللذة ملذات كثيرة ؛ منها لذة الحب والصداقة والجنس ولذة الطعام ولذة الروح ومباهج العقل ومتعة النفس والوجدان ولذة الإيمان....

اللذة والألم ينبعثان من تصور النفس لحقيقتهما، فكم من لذة يراها غيرنا ألما، وكم من ألم يراه غيرنا لذة. ويظن البعض أن اللذة هي السعادة ومنه دعا الفيلسوف اليوناني (أبيقور) "إلى اغتراف اللذات في الحياة.. " ولكن الإفراط في اللذات ضار وأعظم اللذات عندما تأتي في وضع الإشباع سواء الماء مع شدة العطش أو الطعام مع فرط الجوع أو الاتصال الجنسي بفاصل مناسب. ()

س:_ كيف يستفيد الإنسان من اللذة و الألم؟

ج_ إن الإنسان يكتشف لذة المعرفة ومباهج البحث ولذة الانجاز من خلال الأصل ن وهو الكدح اللذيذ للوصول إلى الإبداع الذي تنشأ عنه اللذة ؛ لهذا لابد لنا من التعرف على الطبيعة البشرية للاستفادة من طاقاتها الكامنة واستخراج أفضل ما فيها.فجهلنا بالطبيعة البشرية فوّت علينا الفرص وأضاع علينا الوقت وكبدنا الخسائر في

الحياة الفردية والاجتماعية. وفي الواقع إن ظاهرة نفور وكره العلم ناجمة عن إغفال وإهمال مبدأ اللذة والألم وتحكمه بالنفس البشرية..

س:_ ما مفهوم اللذة عند(ابيقور) و (القورينائيين)

ج:_ الواقع أن مفهوم (إبيقور) عن اللذة مغاير لمفهوم (القورينائيين*) لها وذلك لأسباب ثلاثة:

_ أولا : أن (إبيقور) قد قال بالمتعة الثابتة والمقوّمة، خلافاً للقورينائيين الذين قالوا، بتأثير فكرة (هيرقليطس Heraclite) في التحوّل والتغيّر، باللذة المتحركة.

_ثانيا: أنّ (إبيقور) لم يسلّم إلاّ بلذة واحدة حسية هي لذة الجسد والبطن، خلافاً للقورينائيين الذين سلموا باللذات الفكرية.

_ثالثا: إن اللذة، في نظر(إبيقور)، ليست، كما تخيّلها القورينائيون، حركة وإنما هي لذة تقوم على غياب الألم الجسدي والاضطراب النفسي.

وهنا تبدأ مشكلة التوفيق بين مبدأين إبيقوريين: الأول يقول إن الخير يتم اختياره دوماً بالإرادة؛ والآخر يؤكد أن كل لذة خير وكل ألم شر، لكن لا يتم اختيار كل لذة، ولا تحاشي كل شر بالإرادة دائماً. وهنا يميّز (إبيقور)، كالقورينائيين، موضوع الإرادة المتبصرة من الغاية موضوع الميل المباشر. فإذا كان الميل يحدو إلى اللذة، فإن على التبصر بالمقابل أن يزنعواقب كل لذة. وهكذا تُهمل اللذات التي تجرّ فائضاً من الآلام، وتُتحمل الآلام التي تأتي بلذات أكبر. ولهذا جعل (إبيقور) اللذات على ثلاث مراتب:

أ_ اللذات الطبيعية والضرورية التي لا بد من إشباعها، كالرغبة في الأكل؛ واللذات الطبيعية

ب_اللذة غير الضرورية التي تطلب التنوع في إشباع الحاجة، مثل الرغبة في تناول نوع معين من الطعام من دون غيره.

ج_اللذات اللاطبيعية واللاضرورية. كالرغبة في تاج، وهي رغبات فارغة باطلة.

فالحكيم هو من يعلم أنّ أعلى درجات اللذة يمكن بلوغه بإشباع النوع الأول من الرغبات، أو بالأحرى، بالاكتفاء بالقليل والتلذذ بما تضعه الطبيعة المتبصرة بتصرفه. وهذا المبدأ يبيّن أن ضابط الرغبة لا يقوم في الإرادة المقابلة لها، وإنما في اللذة ذاتها.

س:_ هل اللذة وحدها تحقق السعادة؟

ج :_ إن كبار المفكرين يشخصون مأساة الحضارة الغربية على أساس أنها متولدة عن ذلك الانفصال التدريجي الذي حصل بين نور الإيمان والعقل الفلسفي على مدار القرون الثلاثة الماضية. فوقعت نتيجة ذلك الانفصال النكد ، وهو كارثة كبرى بكل المقاييس وفي كل الاتجاهات. لقد أدت بالفعل انحرافات ومغامرات الغرب في القرن الماضي إلى حربين عالميتين، ومجازر استعمارية، وهيروشيما، وناكازاكي، ونازية وفاشية وبربرية ستالينية. في الواقع لقد خان الغرب التنوير والعقلانية والنزعة الإنسانية. ولن ينهض الشرق إلا بانبعاث الروح والعقل معا، ولكن كما قال ديكارت" فإن البيت الجديد لن ينهض إلا على أنقاض البيت القديم وبعد تفكيكه من أساساته، وليس كل ما في القديم خطأ، والأمم المتقدمة تلك التي تجمع بين التراث والمعاصرة، وأجمل قوة رفع للإنسان هي في مزج العلم والإيمان يقول تعالى:(يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات.)

س : هل اللذة و الألم لها علاقة بالإيمان؟

ج : الإيمان والعمل الصالح يقضيان على القلق والصراع النفسي والتوتر العصبي، فالمؤمن لا يستسلم لنزواته ورغباته، بل يوقن بأنها مجرد لذة فانية، لا ينبغي الاستسلام لها، لذلك تجد المؤمن في أقصى درجات الاتزان النفسي والإشباع العاطفي، قال تعالى: {..وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ . الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ} [البقرة:155-157].

س :_كيف تناول الفلاسفة القدامى اللذة و الألم؟

ج _: لقد تناول فلاسفة الإغريق مبدأ اللذة والألم تناولا إيجابيا على العكس من الفلسفة الهندية التي تناولت المبدأ تناولا سلبيا ورأت أن سعادة الإنسان منوطة بقدرته على تحمل الآلام بطواعية ورضى وإصرار وإماتة الرغبة في اللذة إماتة كاملة تتيح له أن يتحرر من لهفته على اللذة وخوفه من الألم؛ لأنه في الوضع المعتاد يظل نهبا بين طلب الراحة والمتعة والفرار من المشقة والأذى.وهناك من مفكري اليونان من يرى أن اللذة هي الخير الأقصى،

***_(القورينيون) الذين نخصهم بالبحث ، شعبة من المذهب السقراطي، وبذلك يكون مذهبهم تابعا لمذاهب العصر الثاني من عصور الفلسفة اليونانية، ومؤسس هذا المذهب (أرسطبسالقوريني)، من تلامذة سقراط، ومن أقران أفلاطون، ومن معاصري أرسطوطاليس.**

يقول(ارستيبوس):"إن السعادة هي اللذة واللذة جيدة بذاتها فهي الخير الأقصى، وهو يشترط أن يسيطر الإنسان على اللذة لا أن تسيطر عليه ويقولإنني أملك اللذة ولا تملكني" ولكن (أفلاطون) رفض أن تكون اللذة هي الخير الأقصى واعتبر;اللذة خيراً من الخيرات التي يمكن طلبها".أما(أرسطو) فيرى"أن اللذة تواكب جوهر النوع البشري وأن على كل تربية أن تأخذ اللذة بعين الاعتبار"وقد كان الفيلسوف اليوناني (أبيقور) يرى"أن الحكمة مبدأ الخيرات جميعاً بل إنها أعظم الخيرات على الإطلاق لأنها ينبوع سائر الفضائل ولأنها تعلمنا أن من المتعذر أن يكون الإنسان سعيداً إذا لم يكن حكيماً وشريفاً وعادلاً وأن من المحال أن يكون المرء حكيماً وشريفاً وعادلاً من غير أن يكون سعيداً" يقول تعالى **يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (سورة البقرة 269)**

فالسعادة شرط القدرة على الاعتدال والعدل والتوازن والنضج. يرى (أبيقور) "أنه ليس من الحكمة ولا المنطق الاستخفاف بمبدأ اللذة والألم" فيقول"إن كل حيوان يبحث منذ ولادته عن اللذة ليستمتع بها استمتاعه بخير أسمى ويبغض الألم بغضه شراً محضاً ويبتعد عنه كلما استطاع إلى ذلك سبيلاً " وهذا هو الموقف الطبيعي السليم فلا حاجة إذن لأية مناقشة للدلالة على ضرورة طلب اللذة والابتعاد عن الألم فالتجربة المباشرة تؤيد ذلك مثلما تُظهر للإنسان أن النار حارة والثلج أبيض والعسل حلو عذب وليس ثمة ضرورة للبرهان على صحة هذه الحقائق بل يكفي أن ننتبه لها :أن للألم سببين هما: الغلو في الرغبة أو الإسراف في اشتهاء اللذة من جهة ثم وجود أمراض لا يمكن اجتنابها وحدوث اضطرابات في الجسم والنفس ناشئة عن أسباب خارجية أو داخلية" وفي العصر الحديث صارت الأفكار عن اللذة والألم والمنفعة والضرر أكثر عمقا على يد التجريبين وهو امتداد لمذهب اللذة الذي صار يعرف بمبدأ المنفعة منهم: (هوبز)و(جون ستيوارت مل) و(فرانسيس بيكون) و(جون لوك) و(ديفيد هيوم) و(باركلي) و(هربرت سبنسر) ثم (بيرز) و(وليم جيمس) و(جون ديوي) وغيرهم.

س_ كيف يرى علماء النفس للذة و الألم؟

ج_ يعتبر علماء التحليل النفسي أن الميل إلى اللذة والنفور من الألم محور السلوك الإنساني ولقد ساهمت جهود ودراسات وأبحاث علماء النفس والتربية والأخلاق في فهم الطبيعة البشرية وترقية هذه الطبيعة نحو الأفضل والأنفع والأسمى.

س:_ لماذا كانت كل لحظة فرح ممزوجة بالحزن؟ ولماذا امتزجت اللذة بالألم؟.

ج_هناك فكرة خطيرة غالبا ما تعشش في أذهان بعض المبدعين المعاصرين خلاصتها أن الكتابة الإبداعية لا تأتي إلا بعد تجربة البؤس، وفي أعقاب كل حزن عظيم. و بذلك ينسون الفرح الذي هو الآخر مصدر الإلهام لعشرات من القصائد والقصص الخالدة في تاريخ الأدب العالمي.إن الأدب العظيم متفائل بالضرورة،والتركيز على التجارب المتفائلة لا يلغي وجود حالات مغرقة في التشاؤم أنتجت أدبا عظيما كما في حالة الشاعر الكبير (أبي العلاء المعري). والحقيقة التي لا مفر من الاعتراف بها أن الفرح والحزن صنوان، وليس من الضروري أن تكون الأحزان وحدها محركة الإبداع، فقد تكون حالة الفرح الأصيلة محرضا أساسيا ورافدا خصبا من اكبر روافد الإبداع الأدبي. إن التجربة القاسية ومرارة الظروف لا تبرر أبدا السقوط في مستنقع اليأس، وتجربة(ناظم حكمت)* الذي شرد وعذب ونفي، وسجن عشرات الأعوام، ومع ذلك لم يرضخ للاستبداد، ولا استسلم أمام ظروف القمع، وحين خرج من السجن لم يتفرغ للندب، وذم الدنيا، وهجاء الظروف التي انتزعت منه أجمل سنوات عمره إنما واصل خارج السجن كما كان داخله وكتب للأجيال أجمل القصائد عن مجد الأيام الآتية ومنها تلك القصيدة التي تعتبر درة فريدة في عقد الآداب الإنسانية: أجمل البحار ذاك الذي لم نذهب إليه بعد وأجمل الأطفال من لم يكبر بعد وأجمل أيامنا تلك التي لم نعشها بعد، وأجمل ما أريد قوله لم اقله بعد أن البذرة داخل الأرض تحلم بالنور والضوء والهواء لعدة أشهر قبل أن تتحول إلى ياسمين، ونرجس، وشقائق نعمان، والبرعم ينام في سرير انتشائه ويغفو على حلم التحول إلى لون وشذا، وما ينطبق على الزهور يتكرر في حالة البشر الذين يحتاجون هم أيضا إلى تمهيد تربة الآمال المشروعة، بقليل من الفرح غير المجاني الذي يؤدي للأدب الخدمة ذاتها

- استنتاج :

***_ناظم حكمت : كان شاعرًا تركيًا شهيرًا ولد لعائلة ثرية ذات نفوذ، عارض الإقطاعية التركية وشارك في حركة أتاتورك التجديدية ولكن بعدها عارض النظام الذي أنشأه اتاتورك وسجن في السجون التركية حتى 1950، فر إلى الاتحاد السوفييتي وهو شاعر شيوعي، كانت أشعاره ممنوعة في تركيا إلى أن أعاد له بلده الاعتبار . توفي في عام .1963 تميز شعره ببساطة ساحرة ومو اقف واضحة. جرب ناظم في شعره كل الأشكال الممكنة الحديث منها والموروث وغذى تجربته بكل الثقافات من حوله خاصة أنه له علاقات شخصية مع أبرز الشخصيات الأدبية الروسية والأوروبية والأمريكية وحتى العربية..... يعد أحد الثوار المدافعين عن مذهب الرومانسية. ولقد ترجمت قصائده الشعرية إلى أكثر من خمسين لغة وحصلت أعماله على العديد من الجوائز .ولقد استخدم ناظم حكمت أسماء مستعارة في السنوات الذي كان ممنوعا فيها من الدخول إلى تركيا. ذاع صيته وأصبحت له شهرة عالمية كما أنه يعتبر من بين شعراء القرن ال20 الأكثر شعبية في العالم.وقد حكم على ناظم حكمت في إحدى عشرة قضيه مختلفه، ومكث ناظم حكمت في معتقلات إسطنبول وأنقرا وتشانقر وأيضا في بورصة لمدة تتجاوز اثنى عشر عاما وتم نفيه من تركيا عام . 1951 وبعد حوالى ستة وأربعين عاما من وفاته تم إلغاء تلك القضية وذلك بقرار الصادر عن مجلس الوزراء بتاريخ 5 يناير2009 ، تم العثور على قبر ناظم حكمت في موسكو**

ليست كل الأمور شرا أو خيرا، بل تتبدل الامور من حال إلى حال، وقد يكون الشر عند قوم خيرا عند أقوام آخرين، ومن يخسر المال ، قد يربحه الثاني، وهكذا الخير يطير من يد إلى يد، ومصائب قوم عند قوم فوائد. ..

- تطبيق :

_هل محكمة الضمير كافية للحكم في الشهوات و الملذات؟

أصول الفلسفة اليونانية ومذهب اللذة والألمً يدلنا على أن الإنسان آخذ في سبيل التخلُّص من محكمة الضمير أن أكثر المرافق التي تكون حضارة الإنسان، كالتجارة والصناعة والزراعة ونظام الأحزاب والديمقراطيات بأنواعهاِ والحريات على مختلف ألوانها؛ أكثر ما تحركها الانفعالات، وتقودها الشهوات، وتحتكمً فيها المطامع والأغراض، وأقلً ما تكون خاضعة لمحكمة الضمير، ولو أن إخضاع هذه المرافق لمحكمة الضمير أجدر بالنوع البشري وأجدى، ولكنك لا تجد لها من أثر، إلا في المثاليات دون الواقع .ّ ولا نريد بهذا أن نقول إن تحصيل اللذة الراهنة هي القاعدة المثلى الجديرة بحياة الإنسان الأدبيَّة، باعتباره إنسانًا، على ما يدرك من هذا المعنى في أرفع منازله، بل نقول :إنها القاعدة الضرورية، وبهذا نستطيع أن نعلل الأوامر والنواهي التي جاءت بها الأديان، فلما كانت الشهوة أقوى ما يستولي على النفس كان لا بد لقمعها من مؤثر آخر يوازنهاً قوة وأثرا، فلجأت الأديان إلى الإيمان توقظه في النفس، فإذا استيقظ غرست فيه نواهيها وأوامرها، وهنالك يقوم العراك بين نواهي الإيمان وبين بواعث الشهوة، ومع الأسف أن بواعث الشهوة لا تزال في الكفة الراجحة حتى اليوم، وبني كل شعوب الأرض قاطبة .ّ ولا يقمع الشهوة إلا الإيمان؛ إذن فالنوع البشري يحتاج إلى الإيمان، الإيمان في الدين؛ لأن الدين بلا إيمان لا أثر له في خارج النفس، ويحتاج إلى الإيمان في بقية مرافق الحياة، فيِّ العلم والأدب والفنِّ والفلسفة، وفي السياسة والتجارة والصناعة والزراعة، وعلى الأخص الإيمان بقدسية الحياة الإنسانية، وحريتها وحقوقها وواجباتها، فإننا بالإيمان نستطيع أن نقمع كثيرا من الشهوات التي تفسد علينا الحياة الآن .ّ وبقدر ما نحتاج إلى الإيمان نحتاج إلى الشكً ؛ لأن التسليم بلا شك قاعدة فاسدة الأساس،ً بل نستطيع أن نقول إن الإيمان لن يكون تسليما على إطلاق القول.

- مراجع المحاضرة:

_ محمد سلامة الغنيمي : جنة الدنيا رابط المادة http://iswy.co/e11qfr :
https://ar.wikipedia.org/wik_
_صبحي درويش https://elaph.com/Web/AsdaElaph/2006/6/158650.html
_Dictionnaire des philosophes antiques
_فلسفة اللذة والألم ،إسماعيل مظهر ،الطبعة الأولى ٢٠١٤م